تحذير الخلان من أراجيف الإخوان

تأليف
أبو البراء عبد المؤمن السلفي
النور للإعلام الإسلامي

* * *

(إن الإسلام عقيدة استعلاء، من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها إحساس العزة من غير كبر، وروح الثقة في غير اغترار، وشعور الإطمئنان في غير تواكل.

وأنها تشعر المسلمين بالتبعية الإنسانية الملقاة على كواهلهم، تبعة الوصاية على هذه البشرية في مشارق الأرض ومغاربها، وتبعة القيادة في هذه الأرض للقطعان الضالة، وهدايتها إلى الدين القيم، والطريق السوي، وإخراجها من الظلمات إلى النور بما آتاهم الله من نور الهدى والفرقان.

{كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله})

سيد قطب رحمه الله

* * *

من يُفتش عن الإخوان مُجتهداً فجلُّ إخوان هذا العصر خُوّان

* * *

إنَّ للإخوانِ صَرْحاً جلُّ ما فيه عفنُ

إنْ تَسلْني من بناهُ إنه البنا حسنُ

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تُقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}.

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً}.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يُطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً}.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قال تعالى: {فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون}.

{ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون * يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هُزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين }.

إن سجل الإخوان المسلمين يزخر بالصور المتنوعة من صور الكذب والتزييف والإحتيال والتضليل والدس والخديعة، وذلك نتيجة تحكم الأنفس الخبيثة بهذا الهيكل الهرم، والتي أصبحت لا تتورع عن إطعامه بشتى أنواع السحت لتقوية قدميه وتمكينها من حمله.

ولقد أحرت جريدة - المسلمون!! - حواراً مع محفوظ النحناح الناطق الرسمي لحزب حماس (إخوان مسلمون / تنظيم عالمي) تخطى فيه الرقاب، وناطح السحاب، ووالى الأشقياء، وعادى الأصفياء ورماهم بما هو أهلٌ له.

ورموهم بغيا بما الرامي به أولى ليدفع عنه فعل الجاني
يرمي البريء بما جناه مباهتا ولذاك عند الغرّ يشتبهان

ومما قاله النحناح:

(في الجزائر الآن حريق، فإما أن نُساهم في رمي الزيت على النار، وإما أن نُساهم في إطفاء النيران!!).

(أما أن يُقال أنه قام "الجهاد" في الجزائر ذلك البلد المسلم، فهذا غير معقول).

(الاجتناب النهائي عن أن تُزهق الأنفس المتهمة، والأنفس البريئة ظلماً وعُدواناً تحت شعارات أو تحت مُبررات ظاهرها قد يكون شرعياً، لكن بالنزول إلى العمق نجدها مُخالفة مطلقة للنصوص الشرعية ولمقاصد الإسلام!!!)

(ومن غير المعقول أيضاً أن يُنادي بالجهاد أو يدعو للجهاد أو يزكي عملية الجهاد من ليس له حظ في العلم الشرعي خصوصاً)[1].

وبعدها بأيام، وصلنا أن حزب النهضة الذي يرأسه عبد الله جاب الله (إخوان مسلمون/ تنظيم محلي) قد وضع مذكرة مفتوحة رفعها للنظام الجزائري ومن أهم ما جاء فيها:

(طلب المصالحة الوطنية بهدف العودة إلى الشرعية الدستورية).

(الحوار وِفق قواعد محددة أبرزها التمسك بأهداف الثورة الجزائرية المتضمنة: إقامة جمهورية جزائرية ديمقراطية ذات سيادة وِفق المبادئ الإسلامية!!).

[1] جريدة المسلمون!! العدد 415/22 رجب 1413 هـ

(التسليم بمبادئ سيادة القانون على الجميع، وحق الشعب في اختيار حكامه والتداول على السلطة على طريق الإنتخاب!!).

ثم خُتمت المذكرة بالتذكير بأن المبادئ التي أشارت إليها: (كفيلة بحل أزمة الشرعية ووضع حد لاستبداد السلطة وتعسفها، واستئصال العنف! وانحرافات الأحزاب وتجاوزاتها، ووضع البلاد على طريق التعددية السياسية الإيجابية!!!).

وما كان لأولئك أن يُلتفتَ إليهم، فضلاً عن أن نردّ عليهم لولا أن رأينا مفسدته قد عمّت وفتنتهم طمَّت، بما يلبّسون على الناس به من أدلة واهنة، وبراهين شانئة، يُجوّزون بها موالاتهم للطواغيت، ويُسوّغون لهم محاربة دين الله وكسر بيضة أوليائه، وربما استقر في خِلد المخلصين أنه ما كان يجب علينا أن نرد على مزالقهم العقائدية (بألطف عبارة ممكنة)، وأنه كان يكفي ترديد قول الشافعي رحمه الله .

فنقول للنحناح:

يُخاطبني السفيه بكلِّ قُبح فأكره أن أكون له مُجيباً
يزيد سفاهة فأزيد حلماً كعود زاده الإحراق طيباً

أو نقول لجاب الله:

إذا نطق السفيه فلا تُجبه فخير من إجابته السكوت
فإن كلّمته فرجت عنه وإن خلّيته كمدا يموت

إلا أن طبيعة المنهج تقتضي التنبيه وكشف الأوراق، كما أن طبيعة المرحلة تتطلب رد المزاعم، وإبطال الشبه التي يُحاول إثارتها الناعقون، مع التركيز على أن لا يكون الرد مُطلقاً، بمعنى أن يكون محصوراً في كشف الضوء على بعض الجوانب الشرعية التي من الضروري الإحاطة بمعرفتها، والتي غفل عنها أهل هذا الزمان، لاستنكاف العلماء عن مواطن المحن، واستعذابهم بلاط السلطان، إلا من رحم المولى عز وجل، لذا وجب البيان، ومن عرف الحق عرف أهله.

وكتب/ أبو البراء عبد المؤمن السلفي
19 شعبان 1413 هـ
الموافق لـ 10/2/1993 م

* * *

القاعدة الأولى: كفر الحاكم بغير ما أنزل الله:

قال الله تعالى: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} [المائدة 44].

واختلاف المفسرين في هذه الآية مداره على سؤالين:

1) ما هو الكفر المقصود في الآية، هل هو الكفر الأكبر المخرج من الملّة، أم الكفر الأصغر الذي هو بمعنى الكبيرة والفسق ؟

2) هل هذه الآية خاصة بأهل الكتاب أم أن حُكمها يعم المسلمين كذلك؟

أولاً: المقصود بالكفر في الآية هو الكفر الأكبر المخرج من الملة لأدلة، منها قول الله تعالى: {إن الحُكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه}. {فلا وربك لا يُؤمنون حتى يُحكموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويُسلّموا تسليماً}. {له الحمد في الأولى والأخرة وله الحكم وإليه تُرجعون}. {ولا يُشرك في حكمه أحداً}. {أم لهم شُركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله}.

فبين أن الحكم من خصوصياته عز وجل فلا يجوز لأحد أن يدعيه لنفسه أو يصرفه لغير الله، ولذا قرن في

الآية الحكم بالعبادة، ثم صرح أن طاعة غيره في الحكم شرك بالله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والإنسان متى حلل الحرام - المجمع عليه، أو حرم الحلال - المجمع عليه - أو بدل الشرع - المجمع عليه - كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء، وفي مثل هذا نزل قوله على أحد القولين {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون})[2].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويُسرنا وأثرة علينا وأن لا نُنازع الأمر أهله إلا أن تروا كُفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله)[4].

وفي مجموع هذين الحديثين دلالة قاطعة على أن عدم إقامة كتاب الله من الكفر الأكبر البواح المخرج من الملة، ذلك أنه إذا ما جاز الخروج على الحاكم إلا مع وجود الكفر البواح، ثم جاز عند عدم إقامة كتاب الله، دل ذلك على أن عدم إقامة كتاب الله من ذاك الكفر.

<u>ثانياً:</u> الآية عامة تلزم المسلمين وأهل الكتاب لما يلي:

1) العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

2) ما رُوي عن كثير من السلف، كالذي ذكره ابن كثير رحمه الله عن بعض الصحابة رضي الله عنهم وبعض التابعين رحمهم الله ، أنها نزلت في أهل الكتاب، ثم قال الحسن رحمه الله: (وهي علينا واجبة). ثم ساق ابن كثير رحمه الله سنده إلى إبراهيم النخعي قال: (نزلت هذه الآية في بني إسرائيل، ورضي الله لهذه الأمة بها)[5].

---

[2] مجموع الفتاوي 3/267،268
[3] رواه أحمد والشيخان
[4] رواه البخاري
[5] تفسير القرآن العظيم 2/54

* * *

القاعدة الثانية: لا ولاية لكافر على مسلم:

قال الله تعالى: {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً} [النساء 141].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا تنازع الأمر أهله إلا أن تروا كُفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)[6].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (إنه - أي الإمام - ينعزل بالكفر إجماعاً، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك، فمن قوي على ذلك فله الثواب ومن داهن فعليه الإثم)[7].

وقال السفاقسي رحمه الله: (أجمعوا على أن الخليفة إذا دعا إلى كفر أو بدعة يُثار عليه)[8].

قال القاضي عياض رحمه الله: (أجمع العلماء على أن الخلافة لا تنعقد لكافر)[9].

* * *

القاعدة الثالثة: من تولى الكافرين فهو منهم:

قال الله تعالى: {لا تجد قوماً يُؤمنون بالله واليوم الأخر يُوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه} [المجادلة 22].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فأخبر أنك لا تجد مؤمناً يُواد المحادين لله ورسوله، فإن نفس الإيمان يُنافي موادته كما ينفي أحد الضدين الأخر، فإذا وجد الإيمان

---

[6] رواه أحمد والشيخان
[7] فتح الباري 13/123
[8] إرشاد الساري 10/217
[9] مسلم بشرح النووي 12/229

إنتفى ضده وهو موالاة أعداء الله، فإذا كان الرجل يُوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب)[10].

قال ابن حزم رحمه الله: (صح أنه قول الله تعالى: {ومن يتولهم منكم فهو منهم} إنما هو على ظاهره: أنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين)[11].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عند ذكره لنواقض الإسلام: (الثامن: مُظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: {ومن يتولهم منكم فهو منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين} [المائدة 51]).

وقال في الاخير: (ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف)[12].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله في بيانه لنواقض الإيمان: (الأمر الثالث: موالاة المشرك والركون إليه ونصرته وإعانته باليد واللسان أو المال، لما قال تعالى: {ولا تكونن ظهيراً للكافرين} [القصص 86]، وقال: {إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون} [الممتحنة 9]، وهذا خطاب الله تعالى للمؤمنين من هذه الأمة، فانظر أيها السامع أين تقع من هذا الخطاب وحكم هذه الآيات)[13].

* * *

القاعدة الرابعة: الإيمان ببعض ما عليه الحاكم الكافر أو العمل به أو إقراره عليه كفر أكبر مخرج من ملّة الإسلام:

---

[10] مجموع الفتاوى 7/17
[11] المحلى 13/35 تحقيق حسن زيدان
[12] مجموعة التوحيد 38
[13] عقيدة الموحدين 175،176

قال الله تعالى: {ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يُريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويُريد الشيطان أن يُضلهم ضلالاً بعيداً} [النساء 60].

وقال: {وإن أطعتموهم إنكم لمشركون} [الأنعام 121]

قال ابن كثير رحمه الله: (أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك)[14].

قال الله تعالى: {ولولا أن ثبتناك لقد كِدت تركن إليهم شيئاً قليلاً * إذاً لأذقناك ضِعف الحياة وضِعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً} [الإسراء 74،75].

وهذا الخطاب لأشرف الخلق وأكملهم صلى الله عليه وسلم، فكيف بغيره؟

وقال الله تعالى: {ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار} [هود 113].

قال القرطبي: (الركون حقيقته: الإستناد والإعتماد والسكون إلى الشيء والرضا به)[15].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتداً كافراً يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة)[16].

وقال عز وجل: {وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم ءايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً} [النساء 140].

قال أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله: (وقوله: {إنكم إذاً مثلهم} يعني: وقد نزل عليكم أنكم إن جالستم من يكفر بآيات الله، ويستهزئ بها وانتم تسمعون فأنتم

---

[14] تفسير القرآن العظيم 2/192
[15] تفسير القرطبي 9/108
[16] مجموع الفتاوى 35/373

مثله، يعني: فأنتم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال مثلهم في فعلهم)[17].

فإذا كان هذا هو حال من جلس معهم صامتاً، فكيف بمن جاهر بمناصرتهم وموالاتهم وإقرارهم على ما هم عليه من كفر ومحاربة لدين الله وأوليائه؟

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (وقوله: {وقد نزل عليكم... الآية} أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها، وأقررتموهم على ذلك، فقد شاركتموهم في الذي هم فيه).

ثم قال رحمه الله: (وقوله: {إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً} أي كما أشركوهم في الكفر كذلك يشارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبداً ويجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال وشراب الحميم والغسلين لا الزلال)[18].

فتأمل - أخي المسلم - هذا الفهم السلفي القويم الذي امتاز به السلف الكرام، واحذر لنفسك من شعاويذ اللئام، ولا تغرنك خطب نمّقوها، ولا كتب زينوها، ولا تخدعنك مصالح ابتدعوها.

{ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الأخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين} [النحل 107].

* * *

القاعدة الخامسة: لا نجاة إلا بإعلان البراءة من الشرك وأهله:

قال الله تعالى: {قد كان لكم أسوة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده} [الممتحنة 4].

---

[17] جامع البيان 4/330
[18] تفسير القرآن العظيم 1/624

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: (لما نهى الله المؤمنين عن موادة الكفار اقتضى ذلك معاداتهم والبراءة منهم ومجاهرتهم بالعدوان في كل حال)[19].

قال ابن كثير رحمه الله: (يقول تعالى لعباده الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعدواتهم ومجانبتهم والتبري منهم ثم ذكر الآية)[20].

قال الشوكاني رحمه الله: (لما فرغ الله سبحانه من النهي عن موالاة المشركين والذم لمن وقع منه ذلك، ضرب لهم إبراهيم مثلاً حين تبرأ من قومه)[21].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (الموضع الثاني: أنه صلى الله عليه وسلم لما قام يُنذرهم عن الشرك، ويأمرهم بضده وهو التوحيد، لم يكرهوا، واستحسنوا، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه، إلى أن صرح بسبِّ دينهم، وتجهيل علمائهم، فحينئذ شمَّروا له ولأصحابه عن ساق العداوة، وقالوا: سفه أحلامنا، وعاب ديننا، وشتم آلهتنا. ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم يشتم عيسى وأمه، ولا الملائكة ولا الصالحين. لكن لما ذكر أنهم لا يُدعون ولا ينفعون ولا يضرون، جعلوا ذلك شتماً. فإذا عرفت هذه عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك، إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم والبغض، كما قال تعالى: {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادون من حاد الله ورسوله} [المجادلة 22]. فإذا فهمت هذا فهماً جيداً، عرفت أن كثيراً من الذين يدّعون الدين لا يعرفونها، وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك والعذاب، والأسر، والضرب، والهجرة إلى الحبشة، مع أنه ز أرحم الناس، لو يجد لهم رخصةً لأرخص لهم، كيف وقد أنزل الله: {ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله} [العنكبوت 10]. فإذا كانت الآية فيمن وافقهم بلسانه، فكيف بغير ذلك؟)[22].

ويقول الشيخ اسحاق بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعاً: (ولا يكفي بُغضهم بالقلب، بل لا بد من إظهار العداوة والبغضاء..).

---

[19] بدائع الفوائد 3/69
[20] تفسير القرآن العظيم 4/367
[21] فتح القدير 5/212
[22] شرح ستة مواضع من السيرة ضمن مجموعة التوحيد 32،33

ثم قال رحمه الله بعدما ذكر آية الممتحنة: (فانظر إلى هذا البيان الذي ليس بعده بيان، حيث قال: {بدا بيننا} أي ظهر، هذا هو إظهار الدين، فلا بد من التصريح بالعداوة وتكفيرهم جهاراً والمفارقة بالبدن)[23].

قال الشيخ حمد بن علي بن عتيق النجدي رحمه الله: (وبالجملة فلا يكون مُظهراً للدين إلا من صرح لمن ساكنه من كل كافر ببراءته منه، وأظهر له عداوته لهذا الشيء الذي صار به كافراً، وبراءته منه، ولهذا قال المشركون للنبي: عاب ديننا وسفه أحلامنا وشتم آلهتنا)[24].

فعاد الذي عادى لدين محمد ووال الذي والاه من كل مهتد
وأحبب لحب الله من كان مؤمناً وأبغض لبغض الله أهل التمرد
وما الدين إلا الحب والبغض والولا كذاك البرا من كل معتد

قال الله عز وجل: {قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين } [الكافرون].

عن فروة بن نوفل، عن أبيه: أنه قال: يا رسول الله علمني شيئاً أقوله إذا أويت إلى فراشي، فقال: (اقرأ {قل يا أيها الكافرون} فإنها براءة من الشرك)[25].

قال القرطبي رحمه الله: (قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في القرآن أشد غيظاً لإبليس منها، لأنها توحيد وبراءة من الشرك. وقال الأصمعي: كان يقال لـ {قل يا أيها الكافرون} و{قل هو الله أحد} المقشقشتان: أي أنهما تُبرئان من النفاق)[26].

قال ابن كثير رحمه الله: (هذه السورة سورة براءة من العمل الذي يعمله الكافرون)[27].

---

[23] الدرر السنية 141
[24] سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك، المطبوعة ضمن مجموعة التوحيد 367
[25] رواه أحمد وأبو داود والترمذي واسناده حسن
[26] الجامع لأحكام القرآن 20/224
[27] تفسير القرآن العظيم 5/596

وقد زعم بعض الدخلاء على العلم قديماً أن هذه السورة العظيمة، إقرار للكفار على دينهم، ورغم جلاء تهافت هذا الزعم. فقد تلقفه أحفادهم اليوم ممن يتربعون على منابر الإرشاد والإصلاح!! مستدلين بقوله تعالى: {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} [الكهف 29].

وقد أبطل أهل العلم ممن أنار الله بصيرتهم بالقرآن هذا الإفتراء على القرآن والتهجم عليه بأبين حجة وأوضح دليل، فجزاهم الله عن المسلمين خيراً. وغاية هذا الزعم هو محاولة تسويغ مسايرة الجاهلية ومظاهرة الكفار والمرتدين، حيث أنهم قالوا: إن الآية قد أجازت ذلك! ثم قالوا: إن هذه الآية منسوخة، وطبيعة التدرج المرحلي، توجب العمل ببعض آي القرآن المنسوخ!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (قوله تعالى: {لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريءٌ مما تعملون} هي كلمة توجب براءته من عملهم وبراءتهم من عمله، فإن حرف "اللام" في لغة العرب يدل على الإختصاص، {لكم دينكم ولي دين} يدل على أنكم مختصون بدينكم، لا أشرككم فيه وأنا مختص بديني، لا تشركونني فيه كما قال تعالى: {لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برئ مما تعملون} [يونس 41]. وليس في هذه الآية أنه رضي بدين المشركين، ولا أهل الكتاب، كما يظنه بعض الملحدين، ولا أنه نهى عن جهادهم كما ظنه بعض الغالطين، وجعلوها منسوخة. بل فيها براءته من دينهم، وبراءتهم من دينه، وأنه لا تضره أعمالهم، ولا يجزون بعمله ولا ينفعهم. وهذا أمر مُحكم لا يقبل النسخ، ولم يرض الرسول صلى الله عليه وسلم بدين المشركين، ولا أهل الكتاب قط. ومن زعم أنه رضي الله بدين الكفار، واحتج بقوله تعالى: {قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين } [الكافرون]. فظن هذا الملحد أن قوله: {لكم دينكم ولي دين} معناه أنه رضي بدين الكفار، فهذا أبين الكذب والإفتراء على محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يرض قط إلا بدين الله الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه. ونظير هذه الآية قوله تعالى: {وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون} [يونس 41]، وقوله تعالى: {فلذلك فادعُ واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا

أعمالنا ولكم أعمالكم} [الشورى 15]. وإذا كان الله سبحانه قد قال: {واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إني بريءٌ مما تعملون} [الشعراء 215،216]. فبرأه من معصية من عصاه من أتباعه المؤمنين، فكيف لا يبرئه من كفر الكافرين الذين هم أشد له معصية ومخالفة)[28].

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله: (.. اشتمال هذه السورة على النفي المحض، فهذا هو خاصة هذه الصورة العظيمة فإنها سورة براءة من الشرك، كما في وصفها أنها براءة من الشرك، فمقصودها الأعظم هو البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين. ولهذا أتي بالنفي في الجانبين تحقيقاً للبراءة المطلوبة، هذا مع أنها متضمنة للإثبات صريحاً فقوله {لا أعبد ما تعبدون} براءة محضة ولا أنتم عابدون ما أعبد اثبات أن له معبوداً يعبده وأنتم بريئون من عبادته فتضمنت النفي والإثبات وطابقت قول إمام الحنفاء {إنني براءٌ مما تعبدون * إلا الذي فطرني.. } [الزخرف 26،27]، وطابقت قول الفتية الموحدين {وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله}).

(.. إثباته هنا بلفظ يا أيها الكافرون دون يا أيها الذين كفروا فسِره والله أعلم إرادة الدلالة على أن من كان الكفر وصفاً ثابتاً له لازماً لا يُفارقه، فهو حقيق أن يتبرأ الله منه، ويكون هو أيضاً بريئاً من الله. فحقيق بالموحد البراءة منه، فكان في معرض البراءة التي هي غاية البعد والمجانبة بحقيقة حاله التي هي غاية الكفر وهو الكفر الثابت اللازم في غاية المناسبة فكأنه يقول كما أن الكفر لازمٌ ثابت لا تنتقلون عنه، فمجانبتكم والبراءة منكم ثابتة دائماً أبداً،ولهذا أتى فيها بالنفي الدال على الإستمرار مُقابلة الكفر الثابت المستمر وهذا واضح).

(.. فكيف يُقال إن الآية اقتضت تقريره لهم - معاذ الله من هذا الزعم الباطل - وإنما الآية اقتضت البراءة المحضة كما تقدم وأن ما هم عليه من الدين لا نُوافقكم عليه أبداً، فإنه دين باطل فهو مختص بكم لا نشرككم فيه ولا أنتم تشركوننا في ديننا الحق، فهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم، فأين الإقرار حتى يدعى النسخ؟)[29].

---

[28] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح 2/30،32
[29] بدائع الفوائد 1/138،141

* * *

القاعدة السادسة: إن الحاكم إذا كان مسلماً ولم يكن كافراً، وامتنع عن شريعة من شرائع الإسلام كإنفاذ الحدود أو مقارعة الكفار، يجب على المسلمين قتاله حتى يكون الدين كله لله:

قال الله تعالى: {يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله.. } [البقرة 278،279].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فقد أخبر تعالى أن الطائفة الممتنعة إذا لم تنته عن الربا، فقد حاربت الله ورسوله، والربا أخر ما حرم الله في القرآن، فما حرمه قبله أوكد)[30].

وقال مالك رحمه الله: (الأمر عندنا أن كل من منع فريضة من فرائض الإسلام فلم يستطع المسلمون أخذها كان حقاً عليهم جهاده حتى يأخذوها منه)[31].

قال ابن حزم رحمه الله: (.. ويقال لهم: ما تقولون في سلطان جعل اليهود أصحاب أمره، والنصارى جنده، وألزم المسلمين الجزية، وحمل السيف على أطفال المسلمين، وأباح المسلمات للزنا، أو حمل السيف على كل من وجد من المسلمين، وملك نساءهم وأطفالهم وأعلن العبث بهم، وهو في كل ذلك مقر بالإسلام معلن به لا يدع الصلاة؟ فإن قالوا: لا يجوز القيام عليه، قيل لهم: أنه لا يدع مسلماً إلا قتله جملة، وهذا إن ترك أوجب ضرورة ألا يبقى إلا هو وحده وأهل الكفر معه، فإن أجازوا الصبر على هذا خالفوا الإسلام جملة وانسلخوا منه. وإن قالوا: بل يُقام عليه ويُقاتل وهو قولهم، قلنا لهم: فإن قتل تسعة أعشار المسلمين أو جميعاً إلا واحداً، وسبي من نسائهم كذلك، وأخذ أموالهم كذلك؟ فإن منعوا من القيام عليه تناقضوا، وإن أوجبوا سألناهم عن أقل من ذلك ولا نزال نحطهم إلى أن نقف بهم على قتل مسلم واحد، أو على

[30] مجموع الفتاوى 28/469
[31] مسلم بشرح النووي 1/212

إمرأة واحدة، أو على أخذ مال أو على انتهاك بشرة بظلم، فإن فرقوا بين شيء من ذلك تناقضوا وتحكموا بلا دليل، وهذا ما لا يجوز وإن أوجبوا إنكار كل ذلك رجعوا إلى الحق، ونسألهم عمن غصب سلطانه الجائر الفاجر زوجته وابنته وابنه ليفسق بهم، أو ليفسق به بنفسه، أهو في سعة من إسلام نفسه وامرأته وولده وابنته للفاحشة أم فرض عليه أن يدفع من أراد ذلك منهم؟ فإن قالوا: فرض عليه إسلام نفسه وأهله أتوا بعظيمة لا يقولها مسلم، وإن قالوا: بل فرض عليه أن يمتنع من ذلك ويقاتل، رجعوا إلى الحق ولزم ذلك كل مسلم في كل مسلم وفي المال كذلك).

(.. والواجب إن وقع شيء من الجور، وإن قيل أن يكلم الإمام في ذلك ويمنع منه فإن امتنع وراجع الحق واذعن للقود من البشرة أو من الأعضاء، ولإقامة حد الزنا والقذف والخمر عليه، فلا سبيل إلى خلغه وهو إمام كما كان لا يحل خلعه. فإن امتنع من إنفاذ شيء من هذه الواجبات عليه ولم يراجع، وجب خلعه وإقامة غيره ممن يقوم بالحق لقوله تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان} [المائدة 2]. ولا يجوز تضييع شيء من واجبات الشرائع وبالله تعالى التوفيق)[32].

* * *

القاعدة السابعة: إن كان الحاكم ظالماً ولم يكن كافراً، لا يجوز له قتال من خرج عليه من أهل الحق غضباً للدين وطلباً لرفع الجور، خلافاً للمرتدين والخوارج فإنه يجب قتالهم بإجماع:

قال ابن حجر رحمه الله بعدما ذكر الحسين بن علي رضي الله عنهما وأهل المدينة في الحرة والقراء الذين خرجوا على الحجاج: (وأما من خرج عن طاعة إمام جائر أراد الغلبة على ماله أو نفسه أو أهله فهو معذور ولا يحل قتاله، وله أن يدفع عن نفسه وماله وأهله بقدر طاقته).

---

[32] الفصل في الملل والأهواء والنحل 4/174

ثم أورد على هذا القول ما يدل عليه فقال رحمه الله: (قد أخرج الطبري بسند صحيح عن عبد الله بن الحارث عن رجل من بني نضر عن علي وذكر الخوارج فقال: إن خالفوا إماماً عادلاً فقاتلوهم وإن خالفوا إماماً جائراً فلا تُقاتلوهم فإن لهم مقالاً)[33].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وهذا هو الأصل الثابت بكتاب الله وسنة رسوله، وهو الفرق بين القتال لمن خرج عن الشريعة والسنة، فهذا الذي أمر به... وأما القتال لمن لم يخرج إلا عن طاعة إمام معين فليس في النصوص أمر بذلك).

ثم بين رحمه الله بحجته البالغة وأسلوبه القويم ما نتج عن هذا الخلط من ضرر، فارجع إليه إن شئت فإنه مهم[34].

هذا ما فتح الله به علينا في هذه العُجالة، وفيه كفايه لمن رزقه الله الهداية، وجنبه طريق الغواية، نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه وكلّ من أعان على نشره، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله أستغفرك
وأتوب إليك

وكتب/ أبو البراء عبد المؤمن السلفي

منبر التوحيد والجهاد
sw.dehwat.www
moc.esedqamla.www
ofni.hannusla.www
moc.adataq-uba.www

[33] فتح الباري 13/301
[34] انظر مجموع الفتاوى 4/451،452